المعنى اللغوي والاصطلاحي للحنيفية
دراسة استقرائية تحليلية

د. محمد أحمد محمد ملكاوي *

تاريخ وصول البحث: ٢٠٠٧/٩/٢٣م تاريخ قبول البحث: ٢٠٠٨/٤/٦م

ملخص

بيّنتُ في هذا البحث المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة الحنيفية، وأنّ هذه الكلمة – الحنيفية – مأخوذة من كلمة حنف العربية، وليست مستمدّة من لغة أخرى، والحنيفية هي الإسلام والاستسلام لربّ العالمين، وقد ورد في القرآن الكريم كلماتٌ شرحتْ معنى الحنيفية، وزادتها وضوحاً، منها لفظ: أَسْلَمَ، بمعنى خضع، ولفظ: حنثَ، بمعنى أَثِمَ، ولفظ: دين، بمعنى الطاعة والانقياد، ولفظ: قيّم، بمعنى مستقيم، ولفظ: الملّة، بمعنى الدين والشريعة، ولفظ: فَطرَ، بمعنى ابتدأ وخلَقَ، ولفظ: العروة الوثقى، بمعنى الدين المُحْكَم والموثوق به، ولفظ: قنتَ، بمعنى الطاعة والخشوع، ولفظ: أخلَصَ، بمعنى ترك الرياء. فالحنيفية تشمل كلّ ذلك.

Abstract

In this paper, the linguistic and idiomatic meaning of the word Al-Hanifia is illustrated. This word is derived from the Arabic word Hanif, and it is not taken from any other language. The word Al-Hanifia means submission for Allah. In the Holy Quran, there are many words explain and clarify the meaning of Al-Hanifia. For example, Aslama: submit; Hanatha; Deen: compliance and obedience; Qayyem: straightness; Millah: Faith and Law; Fatara: created; the most trustworthy hand-hold: the cohesive and trusty religion; Qanata: to be pious and obedient; and Akhlasa: to leave hypocrisy and be faithful. So, the word Al-Hanifia includes all these meanings.

المقدمة:

كثُرتْ في الآونة الأخيرة الكتاباتُ التي تتحدث عن كلمة حنيف والحنيفية، وبخاصة في المواقع المرصَّدة على شبكة الإنترنت، وهي تُعَدُّ بالمئات، ومعظم هذه المواقع تتعمّد تغيير الحقائق الدينية التي تتعلّق بالدين الإسلامي خاصّة، وقد وجدْتُ بعضَ هذه المواقع تَعرَّضَ لكلمة حنيف والحنيفية، بالشرح والتحليل، فزعم أصحابها أنّ الكلمة – حنيف- ليست كلمة عربية، فهي كلمة دخيلة على العرب والعربية، بل زعم أصحاب بعض المواقع أنّ كلمة حنيف معناها النّجاسة والقذارة، ولا أستطيع أنْ أُدَوّن كلّ المزاعم من هذا القبيل، وأكتفي بالإشارة إلى بعض هذه المواقع، مثل:

http://www.coptichistory.org/new_page_166.htm.
http://www.alkalema.net/nosrania/index.htm.
http://www.arabchurch.com/forums/showthread.php?p=205765.

ورأيتُ أنّ أفضل الطرق لمحاربة الباطل هو تجليةُ الحقّ وإظهارُه، فنُورُ الحقّ كفيلٌ بإزالة ظلمات الباطل.

وأوّلُ خطوة لإظهار الحقِّ البدْءُ بالمعنى اللغوي واستعمال العرب هذه الكلمة؛ للتمهيد لمناقشة النّافين عروبتها، وبما أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين فقد رأيتُ أنْ أستقرئ استقراءً تامّاً الآيات القرآنية المتعلّقة بكلمة حنيف؛ لمعرفة المواضع التي وردت الكلمة فيها، والتي تشكِّل المعنى الاصطلاحيَّ لها، ثمّ معرفة الألفاظ الأخرى التي وردتْ مقترنةً في القرآن الكريم بكلمة حنيف، وتُقاربها في المعنى، أوْ لها بها تعلّقٌ كبير فشرحتْها وزادتْها وضوحاً، فسمّيتُ هذا

* أستاذ مشارك، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البحث: **المعنى اللغوي والاصطلاحي للحنيفية دراسة استقرائية تحليلية**، وقد تضمن هذا البحث ثلاثة مطالب وخاتمة، كما يلي:

المطلب الأوّل: بيان عروبة كلمة الحنيفيّة من خلال المعنى اللغوي. وسأتحدّث في هذا المطلب عن المعنى اللغوي لكلمة حنيف معتمداً على المعاجم اللغوية، ثم بيان استعمال عرب الجاهليّة لهذه الكلمة، ومناقشة المستشرقين المشكّكين في أصلها العربي.

المطلب الثاني: مصطلح الحنيفيّة في استعمال الشرع. وسأتحدّث في هذا المطلب عن ورود كلمة الحنيفيّة في القرآن والسنّة.

المطلب الثالث: المصطلحات القرآنيّة المتعلّقة بكلمة الحنيفيّة. وسأتحدّث في هذا المطلب عن الألفاظ الواردة في القرآن الكريم الموضّحة للحنيفيّة.

وأما الخاتمة فدوّنتُ فيها نتائج البحث، وأسأل الله تعالى أنْ يوفّقني فيه للخروج بنتائج علمية نافعة. وصلى الله تعالى وسلّمَ على النبيّ الأميّ محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى الصحابة أجمعين، والتابعين لهم بإحسان، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المطلب الأول
بيان عروبة كلمة الحنيفيّة

ولبيان عروبة كلمة الحنيفيّة من خلال المعنى اللغوي رجعت إلى المعاجم اللغوية، فتبيّن لي أنّ الأصل الثلاثي لكلمة الحنيفيّة هو كلمة (حَنَفَ)، والحَنَفُ: هو المَيْلُ. ويقال للذي يمشي على ظهور قدميْه أَحْنَف، وقال قومٌ: إنّ الحَنَفَ مَيَلٌ في صدر القدَم واعوجاجٌ في الرِّجْلِ إلى داخل، ورَجُلٌ أَحْنَفُ، أيْ مائلُ الرِّجْليْن، وذلك يكون بأَنْ تتدانَى صدورُ قدميْه ويتباعدَ عَقِباهُ، وقيل الحَنَفُ: هو انقلابُ القَدَمِ حتى يصيرَ بطنُها ظَهرَها. وهو: أنْ تُقبِلَ إبهامُ الرِّجْلِ اليُمنى على أختها من اليسرى، وأنْ تُقبِلَ الأخرى إليها إقبالاً شديداً، فيمشي على ظَهْرِ قدمه من شقِّها الذي يلي خِنْصَرَها، فالرَّجُلُ أَحْنَفُ، والرِّجْلُ حنفاءُ[١].

والحنيفيّة: ضَرْبٌ من السيوف، منسوبة إلى الأحنَف ابن قيس؛ لأنّه أوّل مَن أَمر باتخاذها، وقد سُمِّيَ الأحنَفُ بنُ قيس بهذا الاسم لِحَنَفٍ كان في رِجْلِه، وكانت امرأةٌ تلاعبه وهو طفل فتقول[٢]:

واللهِ لولا حَنَفٌ برجْلِهِ ما كانَ في فِتيانكمْ مِنْ مِثْلِهِ

والحنيفُ: هو المستقيم الطريقة، وقد سُمّيَ المستقيمُ بذلك لأنه يَتَحَنَّف: أي يتحرَّى أَقْوَمَ الطّرُق، وإنما قيل للمائل الرِّجْل أَحنَف تفاؤلاً بالاستقامة، والحنيف: المائل من خيرٍ إلى شرٍّ، ومن شرٍّ إلى خير، ومنه أُخِذَ الحَنَفُ. ومنه قول أبي زيد[٣]:

تَعلَّــمْ أنْ سيهديكم إليْنا طريقٌ لا يَجُورُ بكم حنيفُ

وقد استعمل العرب في الجاهليّة كلمة حنيف بمعنى: صابئ، أي خارج عن ملّة قومه، مائل عن دِينهم، تارك لعبادتهم، وقد وردت بهذا المعنى في النصوص العربية الجنوبية، ووردت في لغة بني إرم بمعنى: الملحد، والمنافق، والكافر، وقد أطلق المسعودي وابن العبري هذه اللفظة على الصابئة، وذهب المسعودي إلى أنّ اللفظة من الألفاظ السريانية المُعَرَّبة. وقد أُطلقت على المنشقّين على عبادة قومهم الخارجين عليها، كما أَطلق أهلُ مكة على النبي صلى الله عليه سلم وعلى أتباعه: الصابئ والصُّباة؛ لأنهم تحنّفوا فاستقاموا، أيْ مالوا عن دين الأوثان، فصارت كلمة حنيف عَلَماً على مَنْ تتكّر لعبادة قومه، وخرج على الأصنام. ولهذا نجد الإسلام أطلقها على نابذي عبادة الأصنام، وهم الذين وُصِفوا بأنهم على دين إبراهيم، ولمّا كان التنكّر للأصنام هو عقيدة الإسلام؛ لذلك صارت كلمة حنيف مدحاً لمن أَطلق الجاهليون عليهم تلك اللفظة لا ذمّاً[٤].

ويقال: تَحَنَّفَ الرَّجُلُ، أيْ عَمِلَ عَمَلَ الحنيفية وتعبَّد. قال الشاعر جِرَانُ العَوْد[٥]:

وأَدْرَكْنَ أَعْجَازاً مِنَ الليلِ بعدما

أَقَامَ الصّلاةَ العابــدُ المُتَحَنِّفُ

وقد استعمل أبو عبيد كلمتيْ الإسلام والتَّحنُّف بمعنى مترادف، فقال[٦]:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فما شِبْــهُ كَعْبٍ غيرَ أَعْتَمَ فاجِــرٍ
أَبى مُذْ دَجَــا الإسْلامُ لا يَتَحَنَّــفُ

كما استعمل ابنُ حَبْناء التميمي الْحَسَب الحنيف بمعنى الْحَسَب الحديث الإسلامي، فقال[٧]:

وماذا غير أنّك ذو سِبالٍ تُمَسّحُها وذو حَسَبٍ حَنِيفِ

وقال أميّةُ بنُ أبي الصلْت الثقفي[٨]:

كُلُّ دينٍ يومَ القيامةِ عِنْدَ اللهِ إلاّ دينَ الحنيفــةِ زُورُ

وأمّا مناقشة المستشرقين المشكّكين في أصلها العربي، فيُفهم مما كتبه الدكتور جواد، والدكتور السطلي أنّ المستشرقين لم يتفقوا على أصل كلمة حنيف؛ فافترقوا إلى عدة آراء[٩]:

الأول: يرى بعضهم أنّ لفظة حنيف من أصل آرامي، وأنها كانت معروفة عند النصارى أولاً، ثمّ أخذها العرب الجاهليون منهم، فأُطلقت على أولئك النفر الذين ظهروا في اليمن ونادوا بعبادة الرحمن الواحد الأحد، فالحنيفية في رأيهم ديانة توحيد مدينة في ظهورها لليهودية والنصرانية، علماً أنّ أصحابها لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وإنما هم فرقة مستقلة متأثرة بالفكر الديني في اليهودية والنصرانية. فهذا الفريق من المستشرقين يرجّح أنّ كلمة حنيف من أصل آرامي، وأنها كانت معروفة عند النصارى فأخذها منهم العرب الجاهليون، وأطلقوها على القائلين بالتوحيد من العرب.

الثاني: ويرى بعضُ المستشرقين أنّ لفظة حنيف من أصل عبراني هو: (تحنُوثْ، Tehinoth) وذلك لوجود صلة لكلمة حنيف بكلمة تِحنُوثْ العبرانية، وهي تعني: الصلوات، وتقابلها في العربية كلمة: التحنّث. فهذا الفريق الثاني وفي مقدمتهم (توري Torrey) يرى أنّ الكلمة من الأصل العبراني حنيف (Hanef).

الثالث: يرى ولهوزن أنها سِمَة لجماعة من الزهاد النصارى، عُرفوا بشدة تقواهم وترهّبهم، فأُطلقت عليهم هذه الكلمة، ثم ظهرت عند العرب.

الرابع: ويرى المستشرق نولدكه أنّ لفظة: حنيف، مأخوذة من الأصل العربي (تحنّف)، على وزن تبرّر، وهي من الكلمات التي لها معانٍ دينية، أو من (حنف Hnef)، ومعناه في العربية: التحنث، وذلك لِما لهذه اللفظة من صلة بالزهد والزهاد، وأنّ السريان يطلقون لفظة (حنفه، Hanfa) على الصابئ، وأنّ النصوص العربية الجنوبية قد وردت فيها لفظة: حنف، بمعنى: صبأ، أي: مال وتأثر بشيء ما.

وهذا الرأي الرابع هو قريب جداً من المعنى الذي قرره علماء اللغة في شرحهم لكلمة حنيف، وهو يدلّ على أنّ اللفظة معروفة عند العرب الجنوبيين.

وقد ردّ السطلي ردّاً إجماليّاً على آراء المستشرقين، فقال: "ولكن التحنّث قد يكون منقلباً عن التحنّف كما لاحظ ابن هشام وصاحبا اللسان والتاج؛ لأنّ العرب قد تبدل الفاء من الثاء، ومقابلة التحنف بكلمة: (تحنوث) مخالفة لأصول المنهج المقارن في علم اللغة؛ لأنّ (تحنوث) جمع ينبغي أنْ يُجَرّد من الزوائد قبل إخضاعه للمنهج المقارن، وإذا جُرِّد منها أصبح المفرد المذكّر منه (تَحَنْ)، والمؤنث (تِحنّا)، وكلاهما بعيد بأصواته عن (حنف)؛ ولذلك نجد كلمة (حَنُوفا) هي الكلمة العبرية التي تقابل (الحنف) في العربية؛ لأنّ الأصوات الأصلية في الكلمتين واحدة، مما يشير إلى أصل سامي مشترك ترجع إليه الكلمتان، ومن معاني (حَنُوفا) في العبرية (الإلحاد)، ومنها كلمة (حنيف) في العبرية، ومعناها: مُلْحِد، وهذا المعنى يشير إلى مَيْل عن عقيدة سابقة، ويدعو إلى وصف صاحبه بالإلحاد، فالمعنى يبدو متطوّراً في العبرية عن أصله السامي، وربما كان هذا الأصل بمعنى المَيْل من أمر إلى آخر، ثم تخصّص في العربية؛ فأصبح يعني: الميل من الشرك وسائر الملل إلى دين الله وطاعته"[١٠].

وتعقيباً على الآراء السابقة: فإنّ نسبة هذه اللفظة إلى النصرانية أو إلى اليهودية العبرانية أو إلى العرب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجنوبيين لا يخلو من الهوى، وما هي إلاّ محاولة لإثبات أنّ التوحيد جاء إلى مكة ووسط الجزيرة العربية من الجنوب الذي يكثر فيه اليهود والنصارى؛ لإثبات أثر اليهودية والنصرانية في الأحناف، وأنّ كلّ تقدّم وتطور دينيّ نحو الصواب إنما هو بتأثير أهل الكتاب؛ لكن الدارس لتاريخ الأحناف وشعرهم يرى أنهم استعملوا هذه الكلمة في وقت مبكر سابق لدخول اليهودية إلى اليمن، وسابق لدخول النصرانية إلى نجران.

وهذا ما رجحته دائرة المعارف الإسلامية فقالت: "ومن المحتمل أنْ تكون الكلمة متصلة بالحركات الدينية التي نشأت في بلاد اليمن، كما يذهب إلى ذلك بعض العلماء المحْدَثين، ولكن ذلك غير مقطوع به؛ لأنّ أكثر ما يروى من أبيات الشعر الموثوق بها إنما يُنسب لعرب الشمال"(١١).

وذكرت دائرة المعارف الإسلامية بأنّ الآية (٣٠) من سورة الروم بينت أنّ كلمة حنيف معناها الدين الفطري، وهذا المعنى يتردد في مصنفات العرب، فقالت: "وكان الفعل (المَصْدَر) تَحَنُّف، يَرِدُ أحياناً بمعنى خلوص العبادة في العصر الجاهلي، وأحياناً أخرى مرادفاً بالفعل للدخول في الإسلام، ويصْدق هذا أيضاً على الفعل (المَصْدَر) تَحَنُّث، ويرى (هرشفيلد Hirschfeld) (وليال Lyall)، ومن قبلهما (دويتش Deutsch) أنّ هذا اللفظ مشتق من اللفظ العبري ثِحنّوث، ولعلّ الأرجح أنه مشتق من تَحَنُّف؛ ذلك لأنّ الاشتقاق الأخير يفسره ابنُ هشام بالتبرّر، وإنْ كان من معانيه أيضاً الدخول في الإسلام، والمعنى الذي جاءت به الآية المذكورة آنفاً - الروم الآية (٣٠)، وهو أنّ كلمة حنيف معناها الدين الفطري- يتردّد في مصنّفات العرب المتأخّرين، مثْل الكامل"(١٢).

وأكدت دائرة المعارف الإسلامية ترادفَ كلمتيْ: الحنيف والمسلم، فقالت: "ولما كان محمد قد بَعَثَ دينَ إبراهيم الحقّ فإنّ لفظ حنيف كثيراً ما يُستعمل بمعنى: مسلم، إشارة إلى الدين ذاته، أي الدين الخالص القويم ... ويصف النبيُّ في أحاديث مختلفة الدينَ الذي يدعو إليه بأنه: الحنيفية السمحة؛ تمييزاً له عن النزعات الرهبانية، وكان الفعل (المَصْدَر) تَحَنُّف، يَرِدُ أحياناً بمعنى: خلوص العبادة في العصر الجاهلي، وأحياناً أخرى مرادفاً بالفعل للدخول في الإسلام"(١٣).

ثم لخصت دائرة المعارف الإسلامية آراء المستشرقين بخصوص كلمة حنيف، كما يلي:

- رأي ولهوزن Wellhausen: أنّ كلمة حنيف: تدلّ في الأصل على الراهب النصراني.
- رأي (ده خويه De Goeje): أنّ كلمة حنيف: معناها الكافر.
- رأي (مرجوليوث D. S. Margoliouth): أنّ كلمة حنيف في كلّ ما وردت فيه معناها: المسلم.

وعلقت دائرة المعارف الإسلامية على رأي مرجوليوث، فقالت: "وفيه ينماز الحنيف من القسّ النصراني والحبر اليهودي"(١٤).

المطلب الثاني
مصطلح الحنيفيّة في استعمال الشرع

وأقصد باستعمال الشرع المعنى الاصطلاحي الشرعي لكلمة الحنيفيّة حسب ورودها في القرآن الكريم والسنّة النبوية:

وقد وردت كلمة (حنيفا) في القرآن الكريم (١٠) عشر مرات بصيغة المفرد، ووردت مرتين بصيغة الجمع (حنفاء)، كما يلي:

(١) قوله تعالى: **﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ * قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[١٣٥-١٣٩: البقرة].

بيّن هذا الموضع أنّ اليهود والنصارى ليسوا على الحنيفية ملّة إبراهيم، وهذه الملّة الحنيفية هي صبغة الله، وفيها الهدايةُ الحقيقية؛ لأنّها تقوم على الإخلاص لله تعالى الذي هو ربّ الجميع، وليس إلهاً قوميّاً خاصّاً بشعب معيَّن.

(٢) قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٦٧-٦٨: آل عمران].

بيّن هذا الموضع أنّ إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، وأنه كان على الحنيفية المسلمة، وأنّ محمداً ﷺ والمؤمنين معه هم أتباع إبراهيم، وهم أولى به من سائر الناس؛ لأنهم المحافظون على ملته الحنيفية التي انحرفتْ عنها سائرُ الأمم.

(٣) قوله تعالى: ﴿**قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[٩٥-٩٧: آل عمران].

بيّن هذا الموضع أنّ إبراهيم كان على الملّة الحنيفية، وأنّه بنى البيت الحرام في مكة المكرمة ليكون مركز انطلاق الدعوة الحنيفية، وفيه هدايةُ العالَم، وقد كتب الله على العالمين الحجَّ إليه.

(٤) قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾[١٢٥: النساء].

بيّن هذا الموضع أنّ ملّة إبراهيم هي الحنيفية، وأنّها أحسن الأديان؛ لأنها تقوم على إسلام الوجه لله، وإحسان العمل.

(٥) قوله تعالى: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُـونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُـم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾[٧٩-٨٣: الأنعام].

بيّن هذا الموضع أنّ ملّة إبراهيم هي الحنيفية القائمة على توجيه الوجه لفاطر السموات والأرض، وأنّ أتْباع الملّة الحنيفية هم المهتدون حقاً.

(٦) قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[١٦١-١٦٣: الأنعام].

بيّن هذا الموضع أنّ ملّة إبراهيم هي الحنيفية، وأنها هي الصراط المستقيم، وهي الدِّين القيِّم، وقد جعل الله تعالى الهداية الحقيقية في هذه الملّة الحنيفية، القائمة على توحيد الله في الاعتقاد وفي العمل والعبادات، توحيداً خالصاً بريئاً من الشرك، وأبرز مظاهر هذا التوحيد الصلاة لله، والنسك لله، وكذلك في كل شؤون الحياة.

(٧) قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ**﴾[١٠٤-١٠٦: يونس].

وهذا الموضع لم يَرِد فيه ذِكْرُ إبراهيم، لكنه بيّن أنّ الحنيفية تقوم على إقامة الوجه لله، وأبرز مظاهرها عبادة الله وحده، والتوجه إليه بالدعاء وحده، ونبْذ جميع الأنداد والشركاء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٨ و٩) قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٢٠-١٢٣: النحل].

بيّن هذان الموضعان أنّ ملّة إبراهيم هي الحنيفية، وأنّها تقوم على القنوت لله وشُكْر نعمته، وأنّ فيها الهداية الحقيقية؛ لأنها هي الصراط المستقيم، أي الطريق الواضح الذي لا عوج فيه، وهذا الصراط والطريق المستقيم يوصل إلى المقصود بأقرب الطرق.

(١٠) قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣٠-٣١: الروم].

وهذا الموضع أيضاً لم يَرِد فيه ذِكْرُ إبراهيم، لكنه بيّن أنّ الحنيفية تقوم على إقامة الوجه للدين الحنيف الذي هو فطرة الله التي خلق الناس عليها، وهذا الدين الحنيفي والملّة الحنيفية هما الدين القيّم، القائم على الإنابة إلى الله، وتقوى الله، وإقامة الصلاة، والبراءة من المشركين.

فهذه المواضع العشرة وردت فيها الكلمة بصيغة واحدة فقط هي: حنيفاً، وقد قُرنت هذه الكلمة في ثمانية مواضع بِذِكْرِ إبراهيم عليه السلام.

وأما الموضعان اللذان وردت فيهما الكلمة بصيغة الجمع: (حنفاء) فكما يلي:

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ * ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ * وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٥-٣٧: الحج].

بيّن هذا الموضع حُرْمةَ إرادة الإلحاد والظلم في المسجد الحرام الذي فيه الكعبة، وقد هدى الله إبراهيم لمكان البيت، وأمره بتطهيره لمختلف أنواع العبادات من طواف واعتكاف وركوع وسجود، وإبراهيم هو الذي أذّن في الناس بالحج لبيت الله حجّاً مخالفاً لحجّ المشركين، ولا يكون ذلك إلاّ باجتناب الأوثان وتقديم الذبائح على اسم الله وحده، وهكذا في جميع المناسك التي هي من شعائر الله، ولا يلتزم بهذه الشعائر ويعظّمها إلاّ مَن عَمَرَت التقوى قلوبَهم، وهذه العبادات والشعائر والقرابين القائمة على الإخلاص لله وحده واجتناب الأوثان؛ هي أبرز مظاهر الحنيفية، والملّة الإبراهيمية.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ وحرمات الله: المشعر الحرام، والبيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام.

﴿الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾: طاعة الشيطان في عبادة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأوثان. ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾: الكذب والافتراء على الله، وقيل: الشرك؛ لأنّ شهادة الزور عدلت الشرك. ﴿حُنَفَاء لِلَّهِ﴾ أي حُجّاجاً مسلمين لله، والحنيفية: الختانُ، وتحريمُ الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات، وأداءُ المناسك، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة. وقيل: الحنيف: من اختتن وحجّ، ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ المعنى: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان وقول الشرك، مستقيمين لله بإخلاص التوحيد له، وإفراده بالطاعة والعبادة الخالصة له وحده دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئاً من دونه. وهذا الذي ذكرتُ لكم أيها الناس وأمرْتُكم به من: اجتناب الرجس من الأوثان، واجتناب قول الزور، وحنفاء لله، وتعظيم شعائر الله، واستحسان البُدن واستسمانها وذبْحها تقرّباً إلى الله، وأداء مناسك الحجّ على ما أمر الله جل ثناؤه، هو من تقوى قلوبكم[١٥].

وذكر القرطبي: أنّ ﴿حُنَفَاء لِلَّهِ﴾ معناه مستقيمين، أو مسلمين مائلين إلى الحق. ولفظة حنفاء من الأضداد تقع على الاستقامة وتقع على المَيْل. وحنفاءَ منصوب على الحال[١٦].

وزاد معنى ﴿حُنَفَاء﴾ بياناً بقوله ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ وهذا كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٢٠: النحل]. ﴿حُنَفَاء لِلَّهِ﴾ حال من ضمير ﴿اجْتَنِبُوا﴾ أي إنْ اجتنبتم ذلك تكونوا حنفاء لله، وتكونوا على ملّة إبراهيم حقّاً، والحنفاء: جمع حنيف، وهو المُخْلِص لله في العبادة[١٧].

(٢) قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٥: البينة].

وهذا هو الموضع الثاني الذي ذُكرت فيه كلمة (حنفاء) بصيغة الجمع مقرونة بعبادة الله وحده، وإخلاصِ الدينِ والطاعةِ له وحدَه، وإقامةُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاةِ هما أبرز مظاهر طاعة الله، وكلّ ذلك هو الدين القيّم، وهو دين الحنيفية الإبراهيمية.

وقوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾ أيْ مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، قال أهل اللغة وأصله أنه تحنّف إلى الإسلام، أي مال إليه، وكان ابن عباس يقول: حنفاء على دين إبراهيم عليه السلام[١٨].

وأما في الحديث فقد ورد حديثان:

الأول: قوله النبي ﷺ: "أحبّ الأديان إلى الله الحنيفية السمحة"[١٩].

الثاني: في الحديث القدسي: "وإنّي خلقتُ عبادي حنفاءَ كُلَّهم"[٢٠]، قال النووي: "أي مسلمين، وقيل طاهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية"[٢١].

وبناءً على كلّ ما سبق في المطلبين السابقين أقول: الحنيفُ والحنيفية في اللغة: المَيْلُ إلى الشيء، واصطلاحاً: المائلُ عن جميع الأديان إلى الدين المستقيم. قال الله تعالى: ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً﴾[٦٧: آل عمران]، والمعنى أنّ إبراهيم حَنَفَ إلى دين الله الإسلام، والأصل هذا، ثمّ يُتَّسَع في تفسيره فيقال: الحنيف الناسك، ويقال: هو المختون، ويقال: هو المُخْلِص، ومعنى الحنيفية في الإسلام: المَيْلُ إليه والإقامةُ على عَقْدِه. والحنيف: الصحيحُ المَيْلِ إلى الإسلام والثابت عليه، والحنيفُ: المسلمُ الذي يَتَحَنَّفُ عن الأديان كلِّها، أي يميل عنها إلى الحق وهو الإسلام، والجَمْعُ: حُنَفَاء. والدين الحنيف: الإسلام، والحنيفية: ملّة الإسلام.

ويوصف بالحنيفيّة الدِّينُ والملَّةُ والشخصُ، فيقال: الدِّينُ الحنيف، والملّةُ الحنيفية، والشخص الحنيف، والحنيفيّ: هو الذي يستقبل البيتَ الحرامَ الذي بناه إبراهيم، فكلُّ مَنْ أَسلَمَ لأمرِ الله قبل البعثة ولمْ يُشْرِكْ بالله شيئاً فهو حنيف على دين إبراهيم وملّته؛ لقوله ﷻ: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾[١٣٥: البقرة] فلا يكون حنيفاً في الجاهليّة إلاّ الذي وحّد الله تعالى قبل البعثة النبوية، وخالف ما كان عليه المشركون من العقائد والعبادات والطقوس والأعمال الشِّرْكيّة، وكان العربُ عبدةُ الأوثانِ في الجاهليةِ يزعمون أنّهم حنفاءُ على دين إبراهيم؛ لأنّه كان يقال لمن اختتن واغتسل من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجنابة وحجّ البيت: حنيف؛ ولأنّ العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم ﷺ غيرَ الختان وحجّ البيت، فكلّ من اختتن وحجّ قيل له: حنيف، فلما جاء الإسلامُ أبطل زعمهم، وسَمَّى المسلمين حنفاء لعدولهم عن الشرك، فالحنيف: المسْلمُ.

المطلب الثالث
المصطلحات القرآنية المتعلقة بكلمة الحنيفية

وسأتحدث في هذا المطلب عن الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم، فوجدتُ بعد الاستقراء التامّ أنّ لها تعلّقاً كبيراً بكلمة حنيف، من حيث إنها اقترنتْ بها فزادتها شرحاً وتوضيحاً.

وبما أنّ كلمة حنيف وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وفي كل موضع منها وردت ألفاظ أخرى تتعلق بالحنيفية ويكون فيها توضيحٌ لجانب، وزيادةٌ في معنىً، ووصفٌ لم يَرِد في المواضع الأخرى، أوْ ورد مجملاً في موضع ففُصِّل في موضع آخر، بحيث لم يكتمل نزول القرآن الكريم إلاّ وكانت الملّةُ الحنيفية وأوصافُها ومستلزماتُها ومتعلقاتُها، واضحةً كلّ الوضوح؛ لذلك كان من الطبيعي جداً أنْ يشرح اللغويون والمفسرون هذه الألفاظ ليبيّنوا علاقتَها المباشرة بالحنيفية، من هنا أقول: لا يستطيع الباحث أنْ يُعرِّف الحنيفية، ولا أنْ يَعْرِفَ حقيقةَ ملّتِها التي دعا إليها إبراهيم ﷺ؛ إلاّ بربط الآيات القرآنية التي ورد فيها ذِكْرُ الحنيفية مع بعضها، ثمّ استنباط أوصافِها بالاستقراء التام لآيات القرآن الكريم. وفيما يلي ذكر هذه الألفاظ التي لها تعلّقٌ مباشر بالحنيفية:

<u>اللفظة الأولى: أَسْلَمَ</u>: الإسلام والاستسلام: الانقيادُ وإظهارُ الخضوع، والتزامُ ما أتى به النبيّ ﷺ، والإسلام باللسان، والإيمان بالقلب، والمُسْلِم: المستسلم لأمر الله والمخلِص له في العبادة، فالإسلام إظهار الخضوع والقَبُول والانقياد لما أتى به النبي ﷺ، وفي قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ**﴾[١٢٨: البقرة] أراد مُخْلِصَيْنِ لك[٢٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[١١٢: البقرة] ذكر الطبري أنّ إسلام الوجه لله هو التذللُ لطاعته، والإذعانُ لأمره، وأصلُ الإسلام: الاستسلام؛ لأنه من استسلمت لأمره، وهو الخضوع لأمره، وإنما سُمّي المسْلم مسْلماً بخضوع جوارحه لطاعة ربه، وإخلاصه لله في عبادته، كما قال زيد بن عمرو:

وأسلمتُ وجهي لمن أسلَمتْ
له المُزْنُ تَحمل عذباً زلالا

يعني بذلك: استسلمتُ لطاعة مَن استسلم لطاعته المزنُ وانقادتْ له، وخصَّ اللهُ تعالى بالخبر عمّن أخبر عنه بقوله: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ**﴾ بإسلام الوجه له دون سائر الجوارح؛ لأنّ أكرمَ أعضاءِ ابن آدم وجوارحِه وجهُهُ، وهو أعظمها عليه حُرمة وحقّاً، فإذا خضع لشيء وجهُه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه، فغيْرُه من أجزاء جسده أحرى أنْ يكون أَخضَعَ له، وحُسْنُ كلِّ شيء وقبحُه في وجهه، فمعنى قوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ**﴾ إنما يعني: بلى من أسلم لله بَدَنُه، فخضع له بالطاعة جسدُه، ﴿**وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ في إسلامه له جسده، فاكتفى بذكر الوجه لدلالته على باقي الجسد. لأنّ الوجه أكرمُ جوارح ابن آدم عليه، وفيه بهاؤه وتعظيمه، فإذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له الذي هو دونه في الكرامة عليه من جوارح بدنه، وذكر الطبري أنّ تأويل الكلام: بلى من أخلص طاعته لله وعبادتَه لهُ محسناً في فعله ذلك ﴿**فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾ فللمسلم وجهه لله محسناً، جزاؤُه وثوابُه على إسلامه وطاعته ربَّه عند الله في معاده[٢٣].

وذكر القرطبي أنّ معنى أسلم: استسلم وخضع. وقيل أخلص عمله. وخصّ الوجه بالذكر لكونه أشرف ما يُرى من الإنسان؛ ولأنه موضع الحواس، وفيه يظهر العزُّ والذّلُّ. والعرب تخبر بالوجه عن جُملة الشيء[٢٤].

وبخصوص أهمية العمل: قال ابن عاشور: ﴿**وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ جيء به جُملة حاليّة لإظهار أنه لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يُغني إسلامُ القلب وحده، ولا العملُ بدون إخلاص، بل لا نجاة إلاّ بهما، ورحمة الله فوق ذلك[٢٥].

وفي قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[٢٠: آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾[١٢٥: النساء] ذكر الطبري أنّ هذا قضاءٌ من الله جلّ ثناؤه للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها، يقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً**﴾ أي يعني أيها الناس: مَنْ أصوبُ طريقاً وأهدى سبيلاً ﴿**مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله**﴾ أيْ استسلم لله فانقاد له بالطاعة، مصدّقاً نبيَّه محمداً ﷺ فيما جاء به مِنْ عند ربه ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ**﴾ أي عامل بما أمره به ربُّه، محرِّم حرامَه ومحلِّلٌ حلالَه ﴿**واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً**﴾ أيْ اتّبعَ الدِّينَ الذي كان عليه إبراهيمُ خليلُ الرحمن، وأمر به نبيَّه محمداً ﷺ مِنْ بعده، وأوصاهم به، حنيفاً: مستقيماً على منهاجه وسبيله، فقد فضّل اللهُ الإسلامَ على كلّ دين، والإسلامُ هو الحنيفيةُ ملّةَ إبراهيم، ولا يقبل الله تعالى عملاً ممن دان بغيرها؛ فهي الملّة التي ارتضاها الله تعالى لخليله إبراهيم، فَنَصَرَهُ اللهُ تعالى وصيَّرَهُ إماماً لِمَنْ بعده من عباده، وقدوةً لهم في طاعته وعبادته، وأما قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾[٢٢: لقمان] فمعناها: ومن يُعَبِّد وجهَه لله، متذلّلاً بالعبودية، مُقِرّاً بالألوهية وهو محسن، أيْ مطيع لله في أمره ونهيه، فقد استمسك بالعروة الوثقى، أي تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه مَن تمسّك به، وهذا مَثَل، معناه أنه قد تمسّك مِنْ رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة، فقد استمسك بالعروة الوثقى: قال ابن عباس: لا إله إلاّ الله[٢٦].

وقد ورد إسلامُ الوجه لله تعالى في القرآن الكريم في أربعة مواضع، منها الموضع الذي هو في سورة [١٢٥: النساء] قُرِنَ فيه إسلام الوجه لله باتّباع ملّة إبراهيم عليه السلام، والموضع الذي في سورة [٢٢: لقمان] بيّنَ أنّ نتيجة إسلام الوجه لله الاستمساك بالعروة الوثقى.

وقد قُرن إسلام الوجه لله في ثلاثة مواضع منها بقوله تعالى ﴿**وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ والإحسانُ في هذه المواضع كلها، معناه الإيمانُ والتصديقُ الجازمُ بمحمد ﷺ، واتّباعُه والاقتداءُ به قولاً وعملاً.

اللفظة الثانية: حَنَثَ: الحنْث: وهو الإثم والحرَج، يقال: حَنِثَ فلانٌ في كذا، أي أَثِمَ، ومن ذلك قولهم: بَلَغَ الغلامُ الحِنْثَ، أي: بَلَغَ مبْلَغ الإدراك والبلوغ، فجرى عليه القَلَمُ، والحِنْثُ: الشِّرْكُ. قال تعالى: ﴿**وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ**﴾[٤٦: الواقعة]، أي يدومون على الشرك وعلى الذنب العظيم. وأمّا قولهم: فلانٌ يَتَحَنَّث من كذا، فمعناه يَتَأَثَّم، والفرْقُ بين أَثِمَ وتَأَثَّمَ، أنّ التأَثُّمَ التنَحِّي عن الإثم، كما يقال: حَرِجَ وتَحَرَّجَ؛ فَحَرِجَ وَقَعَ في الحَرَجِ، وتَحَرَّجَ تنحَّى عن الحَرَجِ، ومن ذلك: التَّحَنُّثُ وهو التَعَبُّد، وكان رسولُ الله ﷺ يأتي غار حراء فَيَتَحَنَّثُ فيه الليالي ذوات العدد قبل أنْ يوحَى إليه، أي يفعَلُ فِعْلاً يخرُجُ به من الحِنْثِ وهو الإثْم، كأنّه ينفي بذلك الحِنْثَ والإثمَ عن نفسه. وتَحَنَّثَ: مثل تَحَنَّفَ، أي تعَبَّدَ واعتزل الأصنام، وقد يجوز أن تكون ثاء يَتَحَنَّثُ بدلاً من فاء يَتَحَنَّفُ. ويُقال: هو يَتَحَنَّثُ؛ أي: يَتَعَبَّدُ اللهَ. وللعرب أفعالٌ تُخالف معانيها ألفاظَها، يُقال: فلان يَتَنَجَّسُ: إذا فَعَلَ فِعلاً يخرجُ به من النجاسة. كما يقال فلان يَتَأَثَّم ويتحرَّجُ: إذا فعل فعلا يخرج به من الإثم والحرج، فالتحنث هو الخروج من الحنث: أي الإثم، كما يكون التأثم الخروج عن الإثم؛ لأنّ تفعّل قد تستعمل في الخروج من الشيء، وفي الانسلاخ عنه[٢٧].

رُوي عن حكيم بن حزام أنه قال لرسول الله ﷺ: "أرأيتَ أموراً كنتُ أَتَحَنَّثُ بها في الجاهلية من صلة رَحِم وَصَدَقَة هل لي فيها من أجر؟ فقال له ﷺ: أسلمتَ على ما سلفَ لك من خير"[٢٨]. يريد بقوله: كنت أَتَحَنَّثُ؛ أي أتقرب إلى الله بأفعالٍ في الجاهلية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأَتَعَبَّدُ وأُلْقِي بها الحِنْثَ عن نفسي.

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم مرتين، في الآية المذكورة سابقاً من سورة الواقعة، وفي قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلاَ تَحْنَثْ﴾[٤٤: ص] أي برَّ أيوبُ بيمينه، وخرج من حِنْثِه.

وقد بحث ابن هشام بحثا لغوياً في معنى التحنث فقال: "تقول العرب: التحنُّثُ والتحنُّفُ، يريدون الحنيفية، فيُبْدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جَدَثٌ وجَدَفٌ، يريدون القبر، قال رؤبة بن العجاج: لو كان أحجاري مع الأجداف، يريد: الأجداث"[٢٩].

اللفظة الثالثة: دِينْ: الدال والياء والنون أصل واحد إليه ترجع فروعُهُ كُلُّها. وهو جِنْسٌ من الانقياد والذُّلّ. فالدِّين: الطاعة، يقال: دانَ لهُ يَدِينُ ديناً، إذا أَصْحَبَ وانقادَ وطاعَ، وقومٌ دِينٌ: أي مطيعون منقادون، قال الشاعر: وكانَ النّاسُ إلاّ نَحْنُ دينَا. والمدينة: كأنها مَفْعَلَة، سُمِّيتْ بذلك لأنها تُقام فيها طاعةُ ذَوي الأَمْر، والمدينة: الأَمَة، والعَبْدُ مَدِينٌ، كأنهما أَذلّهما العمل. فأَمّا قولهم: إنّ العادَةَ يقالُ لها دِينٌ، فَلأَنّ النفْسَ إذا اعتادتْ شيئاً انقادت لهُ، والدِّينُ: العادةُ والشأْن، تقول العرب: "ما زال ذلك ديني وديدني"؛ أي عادتي وشأني، وكان ﷺ على دين قومه، أي على عادتهم وشأنهم في الأخلاق الحميدة، كالنخوة والكرم وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وغيرها من الأخلاق الفاضلة. ودَانَهُ ديناً: أي أَذَلَّهُ واستعبده، يقال: دِنْتُهُ فدانَ، قال الأعشى: هُوَ دَانَ الرِّبابَ إذْ كرهوا الدِّينَ، يعني أذلَّ الرِّباب وقهرها، فذلّتْ له وأطاعته. والدينُ لله، إنما هو طاعتُه والتعبدُ لهُ. والدِّين: الجزاءُ والمكافأة، يقال: دانه ديناً أي جازاهُ، ويقال: كما تَدِينُ تُدَانُ، أي كما تُجازِي تُجازَى بفعلكَ وبحسب ما عملتَ، وقال الشاعر:

واعلمْ يقيناً أنَّ مُلْكَكَ زائلٌ واعلمْ بأنَّك ما تَدِينُ تُدانُ

أي تُجزَى بما تفعل، ويوم الدين: يوم الجزاء، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[٣٠: الروم]؛ أي ذلك الحساب الصحيح. وقوله ﷻ: ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[٥٣: الصافات] أي: مجزيّون محاسَبون، ومنه: الدّيّانُ من أسماء الله ﷻ، معناه: الحَكَمُ القاضي. والدّيّان: القهّار. قال الشاعر:

ولا أنت دَيّاني فَتَخْزُوني. أي لست بقاهر فتسوسَ أمري. وقال الأعشى الحِرمازي يخاطب رسول الله ﷺ: يا سيّدَ الناسِ ودَيّانَ العَرَب. وكان النبي ﷺ يريد من قريش كلمة تَدِينُ لهم بها العرب؛ أي تطيعهم وتخضع لهم. ودَيَّنْتُ الرَجُلَ تَدْييناً: إذا وَكَلْتُه إلى دِينه، والدين: الإسلام، والجمْعُ: الأديان، يقال: دانَ بكذا دِيانةً وتَدَيَّنَ به، فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ، وقد دِنْتُ به، والدِّينُ: ما يَتَدَيَّنُ به الرجُل، والدِّينُ: الوَرَع. والدِّينُ: القَهْر. والدِّينُ: الطاعة[٣٠].

وقد ورد لفظ الدين والألفاظ المشتقة منه في القرآن الكريم (٩٥) خمساً وتسعين مرة، منها (٢٧) سبع وعشرون مرة قُرن فيها لفظ الدين بلفظ الجلالة الله، ومنها (١١) إحدى عشرة مرة قُرن فيها لفظ الدين بالإخلاص، ومنها (٦) ستّ مرات قُرن فيها لفظ الدين مع لفظ الحنيف، و(٦) ستّ مرات وُصف فيها الدين بالدين القيم، ومنها (٥) خمس مرات وُصف فيها الدين بالدين الحق، و(٥) خمس مرات قُرن فيها لفظ الدين بالإسلام، ومنها (٣) ثلاث مرات وُصف فيها الدين بأنه لله، و(٣) ثلاث مرات قُرن فيها الدين بالرسول، و(٣) ثلاث مرات قُرن فيها لفظ الدين بالهُدى، و(٣) ثلاث مرات قُرن فيها لفظ الدين بملّة إبراهيم، و(٣) ثلاث مرات قُرن فيها لفظ الدين مع إقامة الوجه، و(٣) ثلاث مرات قُرن فيها لفظ الدين مع الصلاة والزكاة، ومنها مرتان قُرن فيها الدين بالاعتصام بالله، ومرتان قُرن فيها الدين الحق بالرسول، ومرتان قُرن فيها لفظ الدين بعبادة الله، ومنها مرة واحدة قُرن فيها لفظ الدين مع إسلام الوجه لله، ومرة واحدة قُرن فيها لفظ الدين مع الإحسان، ومرة واحدة قُرن فيها لفظ الدين الحق بالله، ومرة واحدة أُسند فيها الدين الخالص لله، ومرة واحدة قُرن فيها الدين برضى الله، ومرة واحدة قُرن فيها لفظ الدين بفطرة الله، ومرة واحدة قُرن فيها لفظ الدين بالصراط المستقيم، ومرة واحدة وُصف فيها الدين الذي شرعه الله تعالى بأنه هو دين نوح وإبراهيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وموسى وعيسى ومحمد، ومرة واحدة قُرن فيها لفظ الدين بالعروة الوثقى، ومرة واحدة وُصف فيها الدين بكونه واصباً أي دائماً لله.

اللفظة الرابعة: قيّم: القيّم هو المستقيم. والقِيَم والقَوِيم والقِوَام: المستقيم، إلاّ أنّ القِيَم مصدر بمعنى الاستقامة، والقَيِّم أصله قويم: أي مستقيم. والاستقامة: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر، وقوله ﷻ: ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ**﴾[٦: فصلت] أي في التوجُّه إليه دون الآلهة، وقامَ الشيءُ واستقام: اعتدل واستوى. وقَوَّمْتُ الشيءَ فهو قَويمٌ: أي مستقيم. وقوله ﷻ: ﴿**وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[٥: البينة]، أراد الملّة القيّمة، وإنما أَنَّثَهُ لأنه أرادَ الملّة الحنيفية. والملّة القيّمة: المعتدلة، والأُمّةُ القيّمة كذلك. وقيل: الهاء في القَيّمة للمبالغة، ودينٌ قيّم كذلك. وفي التنزيل العزيز ﴿**دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**﴾[١٦١: الأنعام]، وقد قُرِئ: ديناً قَيِّماً، أي مستقيماً. وأَمْرٌ قَيِّمٌ: مستقيم. وكلّ مَن تمسّك بشيء وثبتَ عليه فهو قائمٌ عليه. ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾[٣٠: فصلت]، أي لم يشركوا به شيئاً، واستقاموا على طاعة الله تعالى، ولزموا سُنّةَ نبيّه ﷺ. وأقاموا على الإسلام، أي ثبتوا عليه. والقَيِّم: المستقيم. قال الله ﷻ: ﴿**وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[٥: البينة]: أي ذلك دين الملّة القَيِّمة. وقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾[٣٦: التوبة]، أي الدين المستقيم الذي لا زَيْغ فيه ولا مَيْل عن الحقّ؛ أي دين الأمّة القيّمة بالحق، ويجوز أنْ يكون: دِين الملّة المستقيمة. وقوله تعالى: ﴿**فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**﴾[٣: البينة]، أي كتب مستقيمة تُبيّن الحقّ من الباطل، والحقّ هو الصراط المستقيم. والصراط المستقيم: معناه الطريق الحق الذي لا عوج فيه ويؤدي إلى المطلوب من أقصر الطرق وأسلمها(٣١).

وقد ورد لفظ الصراط المستقيم (٣٧) سبعاً وثلاثين مرةً في القرآن الكريم، وأكتفي بالتعليقات التالية لتوضيح ماهية هذا الصراط المستقيم، وكيفية تعلّقه بالحنيفية:

قبلة المسلمين هي الصراط المستقيم. يُنظر: [البقرة: ١٤٢].

الهداية تكون في الصراط المستقيم. يُنظر: [البقرة: ٢١٣].

عبادة الله هي الصراط المستقيم. يُنظر: [آل عمران:٥١]، يُنظر: و[مريم: ٣٦]، و[يس: ٦١]، و[الزخرف: ٦٤].

الهداية إلى الصراط المستقيم تكون بالاعتصام بالله واتّباع الرسول ﷺ. يُنظر: [آل عمران: ١٠١].

الرسول محمد ﷺ والقرآن الكريم يهديان إلى الصراط المستقيم. يُنظر: [المائدة: ١٦].

القرآن الكريم هو البرهان، وهو النور المبين المنزّل من الله تعالى، ومَن آمن بالله واعتصم به دخل في رحمة الله واهتدى إلى الصراط المستقيم. يُنظر: [النساء: ١٧٤-١٧٥].

الأنبياء كلهم هداهم الله إلى الصراط المستقيم. يُنظر: [الأنعام: ٨٧].

وصّى الله تعالى باتّباع الصراط المستقيم، ومن لم يتّبع هذه الوصية فسيتّبع طرقاً شتّى، تُشتت أمرَه، وتُفرّق حياتَه. يُنظر: [الأنعام: ١٥٣].

الله تعالى هدى محمداً ﷺ إلى الصراط المستقيم، وهذا الصراط المستقيم هو الدين القيّم، وهذا الدين القيّم هو ملّة إبراهيم، وهذه الملّة هي الحنيفية، وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم كله التي جمعت خمسة أسماء تتعلق بالمسلمين، أي ذُكر فيها: محمد ﷺ، والصراط المستقيم، والدين القيّم، وملّة إبراهيم، والحنيفية. يُنظر: [الأنعام:١٦١].

الشيطان يحاول دائماً أنْ يضلّ الناسَ عن الصراط المستقيم. يُنظر: [الأعراف: ١٦].

الصراط المستقيم يؤدي إلى دار السلام؛ وهي الجنة. يُنظر: [يونس: ٢٥].

شَكَرَ إبراهيمُ نعمةَ الله، فاجتباه الله وهداه إلى الصراط المستقيم. وشهد له بالصلاح، وفُسّر الصراط المستقيم بملّة إبراهيم الحنيفية، وأَمَرَ اللهُ محمداً ﷺ أنْ يتّبع ملّة إبراهيم التي هي الصراط المستقيم، وهذه هي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآية الوحيدة [١٢١] التي سُبقت بذكر إبراهيم القانت الحنيف، وأُتبعت بذكر ملّة إبراهيم الحنيف، فوقعت بين ذِكْرَيْن لإبراهيم القانت الحنيف وملّته الحنيفية. يُنظر: [النحل:١٢١-١٢٣].

القرآن الكريم هو الحق، ومن آمن به هداه الله إلى الصراط المستقيم. يُنظر: [الحج: ٥٤].

شهد الله لمحمد ﷺ بأنه على الهدى المستقيم. يُنظر: [الحج: ٦٧].

شهد الله لمحمد ﷺ بأنه يدعو إلى الصراط المستقيم. يُنظر: [المؤمنون: ٧٣].

آيات القرآن الكريم هي الصراط المستقيم. يُنظر: [النور: ٤٦].

شهد الله لمحمد ﷺ بأنه على الصراط المستقيم. وأنّ هذا الصراط المستقيم منزّل من الله تعالى في القرآن الكريم. يُنظر: [يس: ٤].

شهد الله لمحمد ﷺ بأنه يهدي إلى الصراط المستقيم، وأنّ هذا الصراط المستقيم هو صراط الله، والصراط هو النور والروح الذي أنزله في القرآن الكريم. يُنظر: [الشورى: ٥٢-٥٣].

أَمَرَ الله تعالى محمداً ﷺ بأنْ يستمسك بالكتاب الموحَى إليه، فهما - القرآن الكريم ومحمد ﷺ- على الصراط المستقيم. يُنظر: [الزخرف: ٤٣].

القرآن الكريم يهدي إلى الحق ويهدي إلى الصراط المستقيم، فالحق هو الصراط المستقيم، والصراط المستقيم هو الحق. يُنظر: [الأحقاف: ٣٠].

هدى الله محمداً ﷺ إلى الصراط المستقيم، فَغَفَرَ له ذنْبَه، وأتمَّ نعمته عليه. يُنظر: [الفتح: ٢].

هدى الله تعالى المسلمين إلى الصراط المستقيم. يُنظر: [الفتح: ٢٠].

الذي لا يتّبع الصراط المستقيم، كمن يمشي مكبّاً على وجهه. يُنظر: [الملك: ٢٢].

آيات كثيرة في القرآن الكريم بينتْ أنّ الهادي إلى الصراط المستقيم هو الله تعالى.

وبعد هذا التفصيل؛ فلا عجب أنْ تكون آية سورة [الفاتحة:٦] بلفظ ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ داخلة في كل ركعة من صلاة المسلم اليومية، ومعناها الطلب من الله تعالى التثبيت على الهداية لهذا الصراط المستقيم الذي هو ملّة إبراهيم الحنيفية.

وبما أنّ وجْهَ الإنسان أشرفُ أعضائه؛ لذلك أمر الله تعالى بإقامة الوجه في أربع آيات هي:

قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[١٠٥: يونس].

وقوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[٣٠: الروم].

وقوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ**﴾[٤٣: الروم].

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [٢٩: الأعراف].

وقد ورد لفظ الدين القيّم (٤) أربع مرات في القرآن الكريم كما يلي:

قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[١٦١: الأنعام] وهذه الآية جمعت خمسة أشياء تتعلق بالحنيفية: الهداية، الصراط المستقيم، الدين القيّم، ملّة إبراهيم، الحنيفية، فثبت أنّ الصراط المستقيم هو الدين القيّم، وأنّ هذا الدين القيم هو الحنيفية، وأنّ الحنيفية هي ملّة إبراهيم.

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾[٣٦: التوبة] فتحريم الأشهر الحرم الأربعة هو من الدين القيم الذي هو ملّة إبراهيم عليه السلام، وهو من أبرز شعائر الحنيفية.

وقوله تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[٣٩-٤٠: يوسف] فتوحيد الله وعبادته، وعدم عبادة غيره من الأنداد هو من الدين القيم الذي هو ملّة إبراهيم، ولذلك كان من أبرز أعمال إبراهيم تحطيم الأصنام، والبراءة من كلّ الأرباب المخترَعة، وهذه البراءة هي أبرز شعائر الحنيفية.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٥: البينة] وهذه الآية جمعت بين خمسة أشياء تتعلق بالحنيفية: عبادة الله، الإخلاص، الحنيفية، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، دين القيمة. فعبادة الله وحده مع الإخلاص الكامل هو من الدين القيم، الذي أبرز شعائره الصلاة والزكاة، وهذا التوحيد العملي مع الإخلاص لله في العبادة هو أبرز شعائر الحنيفية.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[١٣: الشورى] فهذه الآية أمرتْ بإقامة الدين الموحَى به إلى الأنبياء، وأوّل هؤلاء الأنبياء الذين وصّاهم الله بإقامة الدين هو إبراهيم الذي اجتباه الله، فثبت أنّ جميع الأنبياء كانوا على الحنيفية، وأنّ هذه الحنيفية هي الدين المجتبَى من الله، وعدم اتّباعها هو التفرّق والانحراف عن الأقوم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٩: الإسراء] فالقرآن جاء بالدين القيّم، وبالحنيفية التي هي أقوم.

اللفظة الخامسة: الملّة: الملّة بالكسر: الدِّينُ، كملّة الإسلام والنصرانية واليهودية، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[١٢٠: البقرة]، أي سُنَّتهم وطريقتهم؛ والملّة: الشريعة، وقيل هي معظم الدين، وجملّة ما يجيء به الرسل(٣٢).

وقد ورد لفظ الملّة في القرآن الكريم (١٥) خمس عشرة مرة، منها: مرة واحدة بلفظ: ملّتكم، ومرتان بلفظ: ملّتنا، ومرتان بلفظ: ملّتهم، ومنها (١٠) عشر مرات بلفظ: ملّة، ومن هذه المرات العشر (٩) تسع مرات قُرنت بذكر إبراهيم، وفيما يلي ذِكْر هذه المواضع التسعة:

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ *وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١٣٠-١٣٢: البقرة] فهذه الآيات الثلاث بينتْ أنّ ملّة إبراهيم هي الإسلام، وأنّ هذا الإسلام هو الدين الذي اصطفاه الله؛ لأنّ الألفاظ الثلاثة: الملّة، والإسلام، والدين، وردت في سياق واحد، فصارت كالمترادفات.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ * قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[١٣٥-١٣٩: البقرة].

فهذه الآيات الخمس بينت أنّ ملّة إبراهيم هي ملّة إسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والنبيين، وهذه الملّة لجميعهم هي دين الإسلام الذي هو صبغة الله، والذي يقوم على الإخلاص، والذي من اتّبعه فقد اهتدى، فقرنت الآيات بين: الملّة والإسلام والهداية وصبغة الله والإخلاص.

(٣) قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٩٥: آل عمران].

(٤) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[١٢٥: النساء].

(٥) قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّه رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١٦١-١٦٣: الأنعام].

فهذه الآيات ذكرت: الهداية والصراط المستقيم والدين القيم وملّة إبراهيم الحنيفية والصلاة والنسك والإسلام، وهذه الأمور هي مستلزمات الحنيفية.

(٦و٧) قوله تعالى: **﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ * يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[٣٧-٤٠: يوسف].

فهذه الآيات ذكرت ملّة إبراهيم القائمة على توحيد الله وعبادته، واستبعاد جميع الأرباب غير الله الواحد القهار، وأن هذه الملّة هي الدين القيم.

(٨) قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[١٢٣: النحل].

(٩) قوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾**[٧٨: الحج].

فهذه الآية بينت أنّ الدين الذي رُفع فيه الحرج هو ملّة إبراهيم، وهو الإسلام، وهذا الاسم سمّانا به إبراهيم عليه السلام، ويتضمن هذا الدين وهذه الملّة وهذا الإسلام: الصلاة والزكاة والاعتصام بالله.

وذكر الطبري أنّ صبغةَ الله: هي دين الله وفطرة الله، أي اتّبعوا ملّةَ إبراهيم صبغةَ الله التي هي أحسن الصبغ، فإنها هي الحنيفية المسلمة، وإنّ صبغة الله هي الإسلام، فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أطهر، وهو دين الله الذي بعث به نوحاً والأنبياء بعده، وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وذلك هو الدين القيم[٣٣].

فثبت من مجموع الآيات السابقة أنّ لفظ الملّة ورد بمعنى الدين، وهذا الدين وملّتة هما صبغة الله وفطرة الله، وصبغة الله وفطرة الله هي الدين القيّم، والدين القيّم هو الحنيفية السمحة.

وقد عرّف ابن عاشور الملّة اصطلاحاً فذكر بأنها الدين والشريعة، وهي مجموع عقائد وأعمال يلتزمها طائفة من الناس يتفقون عليها، وتكون جامعة لهم كطريقة يتبعونها، ويحتمل أنها مشتقة من أَمَلَّ الكتابَ، فسُمّيت الشريعة ملّة؛ لأن الرسول أو واضع الدين يعلّمها للناس ويمللها عليهم، كما سميت ديناً باعتبار قبول الأمّة لها وطاعتهم وانقيادهم، وأوّلُ دين إلهي كان حقاً، وبه كان اهتداء الإنسان؛ ثم طرأت الأديان المكذوبة، وقد عرّف العلماء الدين الصحيح بأنه: وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير باطناً وظاهراً، فقوله: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾** [١٩: آل عمران] صيغة حصر، وهي تقتضي في اللسان حصر المسند إليه وهو الدين، في المسند وهو الإسلام، أي لا دين إلاّ الإسلام، فأفاد أنّ الدين الصحيح هو الإسلام، وبهذا الأصل: أصل الفطرة، كان الإسلام ديناً صالحاً لجميع الأمم في الأعصر[٣٤].

وأما بالنسبة لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * ... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾**[٧٧-٧٨: الحج] فورد في الآيتين: أ- أقيموا الصلاة، ب- وآتوا الزكاة، ج- واعتصموا بالله هو مولاكم. وأيضاً عدم الحرج والضيق، فلا يُذنبُ المُسلمُ ذنباً إلاّ وله مخرج منه في دين الإسلام، فالله تعالى لم يضيّق علينا في هذا الدين الذي هو الحنيفية ملّة إبراهيم؛ بل وسّعه، والمعنى: اركعوا واسجدوا والزموا ملّة أبيكم إبراهيم، فإبراهيم هو الذي سمّاكم مسلمين، وهذا هو اسمكم في الكتب السابقة التي نزلت قبل القرآن الكريم[٣٥].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذكر القرطبي أن ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ معناها اتبعوا ملّة أبيكم. وإبراهيم هو أبو العرب قاطبة، والخطاب لجميع المسلمين وإنْ لم يكن الكلّ من ولده؛ لأنّ حرمة إبراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على الولد(٣٦).

وذكر ابن عاشور أنّ قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ زيادة في التنويه بهذا الدين وتحضيض على الأخذ به، وانتصاب ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ على الحال من (الدين) باعتبار أنّ الإسلام حوى ملّة إبراهيم. ثم إنْ كان الخطاب موجّهاً إلى الذين صحبوا النبي ﷺ؛ فإضافة أُبُوَّة إبراهيم إليهم باعتبار غالب الأمّة؛ لأنّ غالب الأمّة يومئذ من العرب المضرية، وأما الأنصار فإنّ نسبهم لا ينتمي إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم من العرب القحطانيين، على أنّ أكثرهم كانت لإبراهيم عليهم ولادة من قبل الأمهات، وإنْ كان الخطاب لعموم المسلمين كانت إضافة أُبُوَّة إبراهيم لهم على معنى التشبيه في الحرمة واستحقاق التعظيم، كقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[٦: الأحزاب]، ولأنه أبو النبيّ محمد ﷺ، ومحمد ﷺ له مقام الأبوة للمسلمين(٣٧).

وبما أنّ الله تعالى قال: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١٦١-١٦٣:الأنعام]، فثبت أنّ الصراط المستقيم هو الدين القيم، وهو ملّة إبراهيم الحنيفية، فهذه الأوصاف ألْصق الأوصاف بالحنيفية ملّة إبراهيم عليه السلام.

وأستطيع أنْ أقول: إنّ كلّ موضع في القرآن الكريم فيه ذِكْر الصراط المستقيم أو ذُكِرَ فيه الدين القيم، فالمقصود به الحنيفية ملّة إبراهيم، وهذا ما صرّح به الطبري فذكر أنّ معنى الآيات: أرشدني ربي إلى الطريق القويم، وهو دين الله الذي ابتعثه به، وذلك هو الحنيفية المسلمة، ﴿دِيناً قِيَماً﴾ أي مستقيماً، ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي دين إبراهيم، ﴿حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي لم يكن يعبد الأصنام(٣٨).

وقد ذكر القرطبي أنه لمّا بيّن الله تعالى أنّ الكفار تفرقوا، بيّن أيضاً أنّهُ هداه إلى الدين المستقيم، وهو دين إبراهيم ﴿دِيناً﴾ أي هداني وعرّفني ديناً، ويجوز أنْ يكون بدلاً من الصراط، أي هداني صراطاً مستقيماً، ديناً ﴿قِيَماً﴾، معناه ديناً مستقيماً لا عوج فيه، ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل ﴿حَنِيفاً﴾ قال الزجّاج: هو حال من إبراهيم(٣٩).

وذكر ابن عاشور: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ليبيّن أنّ هذا الدين إنما جاء به الرسول ﷺ من الله، وجعله ديناً قيّماً على قواعد ملّة إبراهيم عليه السلام، إلاّ أنه زائد عليه بما تضمّنه من نعمة الله عليه؛ إذْ هداه إلى ذلك الصراط الذي هو سبيل النجاة. وانتصب ﴿قِيَماً﴾ على الوصف لـ ﴿دِيناً﴾، وقوله: ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ حال من كلمة: ﴿دِيناً﴾، أو من: ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، أو عطف بيان على ﴿دِيناً﴾، والملّة: الدين، فهي مرادفة الدين، فالتعبير بها هنا للتفنن، و﴿مِّلَّةَ﴾ فعْلَة بمعنى المفعول، أي المملول، من أمللت الكتاب إذا لقّنت الكاتبَ ما يكتب، قال الراغب: الملّة كالدِّين، والفرق بينها وبين الدين أنّ الملّة لا تضاف إلاّ إلى النبيّ الذي تُسند إليه، نحو ملّة إبراهيم، ملّة آبائي، ولا توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد الأمّة، ولا تستعمل إلاّ في جملّة الشريعة دون آحادها، فلا يقال: الصلاة ملّة الله، ويقال: الصلاة دين الله؛ ذلك أنه يراعي في لفظ الملّة أنها مملول من الله، فهي تضاف للذي أُملّت عليه. ومعنى كون الإسلام ملّة إبراهيم: أنه جاء بالأصول التي هي شريعة إبراهيم، وهي: التوحيد، ومسايرة الفطرة، والشكر، والسماحة، وإعلان الحق. والحنيف: المجانب للباطل، فهو بمعنى المهتدي(٤٠).

اللفظة السادسة: فَطَرَ: أصْل الفَطْر: الشق، وفَطَرَ الله الخَلْق يَفْطُرُهم: خلقهم وبدأهم. والفِطْرَةُ: الابتداء والاختراع. والفِطْرَةُ: ما فطر الله عليه الخَلقَ من المعرفة به. والفِطْرَةُ: الخِلقة التي يُخلق عليها المولود في بطن أمّه، والفِطرةُ: الكلمة التي يصير بها العبد مسلماً، وهي شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسوله جاء بالحق من عنده، فتلك الفطرة للدين. وقوله تعالى:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٣٠: الروم] أي فَطَرَ كلَّ إنسان على معرفته بأنّ الله ربُّ كلِّ شيء وخالقُه. ونصب كلمة ﴿فِطْرَةَ﴾ لأنها بمعنى اتّبِعْ فطرةَ الله التي فطر الخلقَ عليها، وخلق عليها كلّ البشر، وهي الإيمان به سبحانه وتعالى، فمعنى ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي دين الله القائم على معرفة الله تعالى والإقرار به وتوحيده(٤١).

وقد وردت مادة فَطَرَ ومشتقاتُها في القرآن الكريم (٢٠) عشرين مرة، منها مرة واحدة قُرنت بالعبادة، ومرة واحدة قُرنت بالهداية، ومنها مرتان قُرنت بالإسلام، ومرتان قُرنت بلفظ حنيف، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٧٩: الأنعام].

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٣٠: الروم] فقُرنت الفطرة في هذه الآية مع لفظ حنيف ومع الدين القيّم، وبُدئت بإقامة الوجه، فذُكر فيها لفظ الدين مرتين، في قوله تعالى: ﴿لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ فثبت أنّ الفطرة هي إقامة الوجه للدين الحنيف، وأنّ هذا الدين الحنيف هو الدين القيم، وهو الإسلام القائم على توحيد الله وعبادته.

وذكر القرطبي: أنّ ﴿فِطْرَةَ﴾ منصوب، بمعنى اتّبع فطرة الله، ومعنى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: اتّبع الدين الحنيف واتّبع فطرة الله، ومعنى ذلك: فَطَرَ اللهُ الناسَ على ذلك فطرةً، وعلى هذا لا يوقَف على ﴿حَنِيفاً﴾. وقيل معنى ذلك: اتبعوا دين الله الذي خلق الناسَ له، وعلى هذا القول يكون الوقف على ﴿حَنِيفاً﴾ وقفاً تامّاً. وسُمّيت الفطرة ديناً لأنّ الناس يُخلَقون له. والخطاب في قوله: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ للنبي ﷺ، أَمَرَه بإقامة وجهه للدين المستقيم. وقال في آية أخرى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ فالدين القيّم هو دين الإسلام. وخصّ الوجه بالذكر لأنه جامعُ حواس الإنسان وأشرفُه. ودخل في هذا الخطاب أُمّتُه باتفاق من أهل التأويل، و﴿حَنِيفاً﴾ معناه معتدلاً مائلاً عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة. ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي دين الإسلام هو الدين القيم المستقيم(٤٢).

وتوسع ابن عاشور في شرحها، وأقطتف منه ما يلي: إقامة الوجه: تقويمه وتعديله باتجاهه قُبالةَ نَظَرِه غير ملتفت يميناً ولا شمالاً، والتعريف في ﴿الدِّينُ﴾ للعهد، وهو دينهم الذي هم عليه، وهو دين الإسلام، ﴿حَنِيفاً﴾ يجوز أنْ يكون حالاً من الضمير المستتر في فعل ﴿أَقِمْ﴾ فيكون حالاً للنبي ﷺ، كما كان وصفاً لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً﴾[١٢٠: النحل] وهذا هو الأظهر في تفسيره. ويجوز كونه حالاً من الدين على ما فسّر به الزجاج، فيكون استعارة بتشبيه الدين برجل حنيف في خلوّه من شوائب الشرك. وحنيف صيغة مبالغة في الاتصاف بالحَنَف وهو الميْل، وغلب استعمال هذا الوصف في الميْل عن الباطل والانقطاع عن الشرك، والعدول عنه بالتوجه إلى الحق، و﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ بدل من ﴿حَنِيفاً﴾ بدل اشتمال فهو في معنى الحال من ﴿الدِّينُ﴾ أيضاً، وهو حال ثانية، وهذا أحسن؛ لأنه أصرح في إفادة أنّ هذا الدين مختصّ بوصفين هما: التبرؤ من الإشراك، وموافقتُه للفطرة، فيفيد أنه دين سمح سهل لا عَنَتَ فيه، وهذا الدين هو فطرة الله؛ لأنّ التوحيد هو الفطرة، والإشراك تبديل للفطرة، والفطرة: اسم هيئة من الفَطْر، وهو الخَلْق، مثل الخِلْقة، كما بينه قوله تعالى: ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي جَبَلَ الناسَ وخلقهم عليها، أي متمكنين منها. ومعنى أنّ الله فطر الناس على الدين الحنيف، أي خَلَق الناسَ قابلين لأحكام هذا الدين، وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير مجافية لها، غير نائين عنه، ولا منكرين له، فالتوحيد هو الذي يساوق العقلَ والنظرَ الصحيح، حتى لو تُرك الإنسان وتفكيره ولم يُلقَّن اعتقاداً ضالاً لاهتدى إلى التوحيد بفطرته؛ لأنّ الفطرة هي الخِلْقة والهيئة التي في نفس الإنسان، والتي هي مُعدَّة ومُهيَّئه لأنْ يميّز بها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصنوعات الله، ويستدلّ بها على ربه، فوصفُ الإسلام بأنه فطرة الله، معناه أنّ أصل الاعتقاد فيه جارٍ على مقتضى الفطرة، وكون الإسلام هو الفطرة وملازمة أحكامه لمقتضيات الفطرة صفة اختصّ بها الإسلام من بين سائر الأديان في تقاريعه، أما أصوله فاشتركت فيها الرسالات الإلهية، وهذا ما أفاده قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾، فالإسلام عامٌّ خالد مناسب لجميع العصور، وصالح بجميع الأمم، ولا يستتبّ ذلك إلاّ إذا بُنيت أحكامه على أصول الفطرة الإنسانية؛ ليكون صالحاً للناس كافّة وللعصور عامّة، وقد اقتضى وصف الفطرة أنْ يكون الإسلام سمحاً يُسْراً؛ لأنّ السماحة واليسر مبتغى الفطرة[٤٣].

اللفظة السابعة: العُرْوَة الوثقى: العُرْوَة: المَقْبِض. وقوله تعالى: ﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا**﴾[٢٥٦: البقرة] شُبِّه بالعروة التي يُتَمَسَّك بها، والعروة الوثقى: قول لا إله إلاّ الله، ومعناه: من تمسّك بالعروة الوثقى فقد عقد لنفسه من الدين عَقْداً وثيقاً، وهو ما يُعْتَصَم به من الدين. والوثقى: المُحْكَمَة، فالعروة الوثقى: هي الدين المُحْكَم الموثوق به[٤٤].

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرتين:

في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا**﴾ [٢٥٦: البقرة]

وفي قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾[٢٢: لقمان].

فقُرن إسلامُ الوجه لله مع الإحسان مع الاستمساك بالعروة الوثقى، فدلّ ذلك على أنّ العروة الوثقى هي التوحيد الخالص لله، وأبرز مظاهره إسلام الوجه لله تعالى والكفر بالطاغوت، وعنوانه: لا إله إلا الله. وكلّ ذلك شعار الحنيفية.

اللفظة الثامنة: قَنَتَ: القُنوت: الامساك عن الكلام. والقُنوت: الدعاء في الصلاة. والقُنوت: الخشوع لله والإقرار له بالعبودية، والقيام بالطاعة التي ليس معها معصية. والقُنوت: إطالة القيام. والقُنوت: الطاعة. وقَنَتَ اللهَ يَقْنُتُه: أطاعه. والقانت: المطيع. والقانت: الذاكر لله تعالى. والقانت: العابد. والقانت: القائم بجميع أوامر الله تعالى[٤٥].

وقد ورد هذا اللفظ ومشتقاته في القرآن الكريم (١٣) ثلاث عشرة مرة، منها مرة واحدة هي التي تتعلق بموضوعنا، وهي في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[١٢٠: النحل] فوصفت الآية إبراهيم بأنه أمّة، وبأنه قانت، وبأنه حنيف، فثبتتْ علاقة القنوت بالحنيفية، ومعنى كونه أمّة: أي يعلِّم الخير، ويأتمُّ به أهلُ الهدى، قانتاً: مطيعاً لله، حنيفاً: مستقيماً على دين الإسلام. والقنوت: الطاعة لله ولرسوله ﷺ[٤٦].

اللفظة التاسعة: أَخْلَصَ: الخالص: الأبيض من الألوان، فالثوب الخالص والماء الخالص: الأبيض. والمُخْلِص: الذي أخلص التوحيد والعبادة لله تعالى وحْدَه، فوحَّد اللهَ توحيداً خالصاً. وأخلص دينه لله: أَمْحَضَه. والمُخْلَص: الذي أخلصه الله وجعله مختاراً خالصاً من الدنس. وكلمة الإخلاص: هي كلمة التوحيد؛ لا إله إلا الله. والمُخْلَصون: المختارون، والمُخْلِصون: الموحِّدون. والإخلاص في الطاعة: تَرْكُ الرياء[٤٧].

وقد وردت هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم (٣١) إحدى وثلاثين مرة، منها (١٢) اثنتا عشرة مرة، تتعلق بموضوعنا، وهي في قوله تعالى:

(١) ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً**﴾[١٤٦: النساء].

وهذه هي الآية الوحيدة التي جمعت بين الاعتصام بالله وإخلاص الدين لله.

(٢) ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[٢٩: الأعراف].

وهذه هي الآية الوحيدة التي جمعت بين إقامة الوجوه وإخلاص الدين لله.

(٣) ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٢٢: يونس].

(٤) **﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾**[٦٥: العنكبوت].

(٥) **﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾**[٣٢: لقمان].

(٦و٧) **﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾**[٢-٣: الزمر].

(٨و٩) **﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي﴾**[١١-١٤: الزمر].

وقد جمعت آيات سورة الزمر ثلاث مرات بين عبادة الله وإخلاص الدين لله، وذُكر فيها الإسلام مسبوقاً بعبادة الله وإخلاص الدين له، ومتبوعاً أيضاً بالعبادة وإخلاص الدين لله.

(١٠) **﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**[١٤: غافر].

(١١) **﴿هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٦٥: غافر].

(١٢) **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**[٥: البينة].

وهذه هي الآية الوحيدة التي جمعت بين خمسة أشياء تتعلق بالحنيفية: عبادة الله وإخلاص الدين له وحنفاء وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ودين القيّمة.

وفي مجموع هذه الآيات قُرن بين دعاء الله مع إخلاص الدين له في ستة مواضع منها، فثبت أنّ الحنيفية تقوم على ما يلي: الاعتصام بالله، وإقامة الوجوه عند كلّ مسجد، وعبادة الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والإسلام، ودعاء الله، ودين القيّمة، وكلّ ذلك مرهون بالإخلاص.

وأقتطف من تعليق ابن عاشور على قولـــه تعالى: **﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾** ما يلي: وهو عبادة الله وحده دون إشراك، وذلك هو الحنيفية، وهي دين إبراهيم الذي أُخذ عليهم العهد به، فذلك دين الإسلام. والإخلاص: التصفية والإنقاء، أي غير مشاركين في عبادته معه غيره. والدين: الطاعة. وحنفاء: جمع حنيف، وهو لقب للذي يؤمن بالله دون شريك، وهذا الوصف تأكيد لمعنى **﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾** مع التذكيـــر بأنّ ذلك هو ديـــن إبراهيم عليه السلام الذي مُلئت التوراة بالحثّ على تمجيده واتّباع هديه. وهذا إلزام لهم بأحقيّة الإسلام، وأنه الدين القيّم، فالمراد بدين القيّمة: دين الإسلام، والقيّمة الشديدة الاستقامة، فالمعنى: وذلك الدِّين هو دين أهل الحق من الأنبياء وصالحي الأمم، وهو عين ما جاء به الإسلام، فإنهم جميعاً مقرّون بأنّ الحنيفية هي الحق(٤٨).

وذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: **﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**: يعني هذا الدين الذي ذَكر أنه أَمَر به هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين هو دين القيّمة، أي الملّة العادلة المستقيمة، وأُضيف الدين إلى القيّمة والدين هو القيّم، وأُنِّثت القيّمة لأنها جُعلت صفة للملّة، كأنه قال: وذلك الملّة القيّمة دون اليهودية والنصرانية. فدين القيّمة هو الدين الذي بَعث الله به رسولَه، وشرع لنفسه، ورضي به؛ لأنه الملّة المستقيمة العادلة(٤٩).

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة في كتب اللغة والتفسير والمصادر الأخرى، أستطيع أنْ أدوّن بيقين الملحوظات التالية، وهي النتائج التي توصّلت إليها من هذا البحث:

الحنيفية كلمة مأخوذة من كلمة حنف العربية، وليست مستمدة من لغة أخرى، فهي أصيلة وليست دخيلة، والحنيفية هي الإسلام والاستسلام والانقياد ظاهراً وباطناً لربّ العالمين، وفي الحنيفية معنى التحنّث الذي هو بمعنى التعبّد والتنحّي عن الإثم، أي التبرّر، والحنيفية هي الدين والطاعة والذلّ والخضوع لرب العالمين، والحنيفية هي الدين القيّم المستقيم المعتدل الثابت، والحنيفية هي الصراط المستقيم، والطريق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القويم، والحنيفية هي الملّة والطريقة الجامعة لما يحبُّه الله تعالى ويرضاه من العقائد والشرائع، والحنيفية هي الفطرة التي خلق الله الناسَ عليها، والحنيفية هي صبغة الله التي لا يوجد صبغة أخرى أحسن منها، والحنيفية هي العروة الوثقى التي من تمسّك بها فقد نجا من السقوط في الهاوية، والحنيفية هي كلمة لا إله إلاّ الله، والحنيفية تقوم على القنوت والخشوع لله وطاعته في جميع الأوامر والعبادات، والحنيفية تقوم على الإخلاص لله وحده، والحنيفية هي إسلام الوجه لله رب العالمين، والحنيفية هي البراءة من الشرك بجميع أنواعه، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادات، والحنيفية هي الدين الذي رضيه الله لعباده، والحنيفية هي الدين الذي من تمسّك به فقد اهتدى، والحنيفية هي دين نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهذا النبي هو الذي أَمَرَ الله تعالى محمداً ﷺ أنْ يتّبع ملّتَه، والحنيفية تقوم على الختان وحجّ البيت وتحريم الأمهات والبنات والأخوات، وأخيراً الحنيفية هي الميْل عن جميع الأديان، والثبات على دين التوحيد إلى الممات، فصارت الحنيفية صفة لدين الله الإسلام.

وصلى الله تعالى على النبي الأمي محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين والصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الهوامش وفيها الإشارة إلى المراجع:

(١) انظر: محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ/٩٨١م)، **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق: رياض قاسم، بيروت، دار المعرفة (ط١)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١، ص٩٤٢- ٩٤٣. أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل (ط١)، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٢، ص١١٠-١١١. إسماعيل ابن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، **الصحاح**، بيروت، دار إحياء التراث العربي (ط١)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج٣، ص١١١٢. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، بيروت، دار الجيل، ج٣، ص١٣٤. محمد بن منظور الأفريقي (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ج٩، ص٥٦- ٥٨، مادة: حَنَفَ. بتصرّف.

(٢) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٩، ص٥٧-٥٨، مادة حنف.

(٣) انظر: المرجع السابق بنفس الصفحة.

(٤) انظر: جواد علي، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت، دار العلم للملايين، وبغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٨م (ط٢)، ج٦، ص٤٥٤ بتصرف.

(٥) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٩، ص٥٨، مادة: حَنَفَ.

(٦) انظر: المرجع السابق بنفس الصفحة.

(٧) انظر: المرجع السابق بنفس الصفحة.

(٨) انظر: علي بن الحسين الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، **الأغاني**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٣م، ج٤، ص١٢٢. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٣٩.

(٩) جواد علي، **المفصّل**، ج٦، ص٤٥٣. **ديوان أميّة بن أبي الصّلْت**، جمع وتحقيق: عبد الحفيظ السطلي، دمشق، المطبعة التعاونية، ١٩٧٧م (ط٢)، ص١٨. وأشار السطلي بالهامش إلى: De Encyclopedie L'Islam Vol. II P:259.

(١٠) السطلي، **ديوان أميّة**، ص١٨.

(١١) **دائرة المعارف الإسلامية**، أصدرها أئمة المستشرقين في العالم، النسخة العربية، إعداد وتحرير إبراهيم خورشيد، وعبد الحميد يونس، وحسن عثمان، مطابع دار الشعب، القاهرة.، ج١٦، ص١٢١.

(١٢) **دائرة المعارف الإسلامية**، ج١٦، ص١١٨.

(١٣) المرجع السابق بنفس الصفحة.

(١٤) **دائرة المعارف الإسلامية**، ج١٦، ص١١٩.

(١٥) انظر: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن والمعروف بتفسير الطبري**، تعليق محمود شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م (ط١)، ج١٧، ص١٨٠-١٨٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وج٣٠، ص٣١٩ بتصرف.

(١٦) انظر: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م)، **الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي**، دار الكاتب العربي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، (ط٣)، م٦، ج١٢، ص٥٥ بتصرف.

(١٧) انظر: محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، **تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**، بيروت، مؤسسة التاريخ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (ط١)، ج١٧، ص١٨٤ بتصرف.

(١٨) انظر: القرطبي، **تفسير القرطبي**، م١٠، ج٢٠، ص١٤٤ بتصرف.

(١٩) انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب٢٩، باب الدين يسر، وهو في فتح الباري، ج١، ص٩٣، قبل الحديث رقم٣٩. قال ابن حجر، ص٩٤: "وهذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب، لأنه ليس على شرطه. نعم وصله في كتاب الأدب المفرد[رقم ٢٨٧] وكذا وصله أحمد بن حنبل [رقم ٢٧٠١] وغيره عن ابن عباس وإسناده حسن، استعمله المؤلف في الترجمة لكونه متقاصراً عن شرطه، وقواه بما دل على معناه لتناسب السهولة واليسر".

(٢٠) مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٥م)، **صحيح مسلم**، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٤، ص٢١٩٧، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب١٦، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم ٢٨٦٥.

(٢١) **صحيح مسلم**، بشرح النووي، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مجلد٩، ج١٧، ص١٩٧.

(٢٢) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص٢٩٣-٢٩٥ مادة: سلم بتصرف.

(٢٣) انظر: الطبري، **تفسير الطبري**، ج١، ص ص٥٦٧ و٥٦٨، وج٣، ص٢٥١ بتصرف.

(٢٤) انظر: القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٢، ص٧٥.

(٢٥) انظر: ابن عاشور، **تفسير ابن عاشور**، ج١، ص٦٥٧.

(٢٦) انظر: الطبري، **تفسير الطبري**، ج٥، ص٣٤٥، وج٢١، ص٩٢.

(٢٧) انظر مادّة حنث: الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، ج١، ص٩٣٥-٩٣٦. ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢، ص١٠٨-١٠٩. الجوهري، **الصحاح**، ج١، ص٢٤٨.

(٢٨) محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب ٢٤، باب من تصدّق في الشرك ثم أسلم، وكتاب البيوع، باب ١٠٠، باب شراء المملوك من الحربي، وكتاب العتق، باب١٢، باب عتق المشرك، وكتاب الأدب، باب١٦، باب من وصل رحمه في الشرك ثم أسلم. وانظر: أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، المكتبة السلفية، ١٣٧٩هـ، ج٣ ص٣٠١، برقم ١٤٣٦، وج٤، ص٤١١، برقم ٢٢٢٠، وج٥، ص١٦٩، برقم ٢٥٣٨، وج١٠، ص٤٢٤، برقم٥٩٩٢.

(٢٩) أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م)، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ج١، ص٢٣٥.

(٣٠) انظر مادة دين: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٢، ص٣١٩-٣٢٠. الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، ص١١٣٦-١١٣٨. الجوهري، **الصحاح**، ج٥، ص١٧٠٧-١٧٠٨. ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص١٦٦-١٧١ بتصرف.

(٣١) انظر مادة قوم: الجوهري، **الصحاح**، ج٤، ص١٦٣٤. الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، ص ٢٨٦٣-٢٨٦٤، وابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص٤٩٦-٥٠٦ بتصرف.

(٣٢) انظر مادة ملل: الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، ج٤، ص٣٤٥١. والجوهري، **الصحاح**، ج٤، ص١٤٨٢. وابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ٦٢٨-٦٣٢ بتصرف.

(٣٣) انظر: الطبري، **تفسير الطبري**، ج١، ص٦٦٠ بتصرف.

(٣٤) انظر: ابن عاشور، **تفسير ابن عاشور**، ج١، ص٦٧٤، وج٣، ص٤٦-٥٣ بتصرف.

(٣٥) انظر: الطبري، **تفسير الطبري**، ج١٧، ص٢٤٢-٢٤٣ بتصرف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٣٦) انظر: القرطبي، **تفسير القرطبي**، م٦، ج١٢، ص١٠١ بتصرف.

(٣٧) انظر: ابن عاشـــور، **تفـــسير ابـــن عاشـــور**، ج١٧، ص٢٥٢-٢٥٣ بتصرف.

(٣٨) انظر: الطبري، **تفسير الطبري**، ج٨، ص١٣٢ بتصرف.

(٣٩) انظر: القرطبي، **تفسير القرطبي**، م٤، ج٧، ص١٥٢ بتصرف.

(٤٠) انظر: ابن عاشور، **تفـــسير ابـــن عاشـــور**، ج٧، ص١٤٧-١٤٨ بتصرف.

(٤١) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٥٦-٥٨ مادة فطر بتصرف.

(٤٢) انظر: القرطبي، **تفسير القرطبي**، م٧، ج١٤، ص٢٤ بتصرف.

(٤٣) انظر: ابن عاشور، **تفـــسير ابـــن عاشـــور**، ج٢١، ص٤٧-٥١ بتصرف.

(٤٤) انظـــر: ابن منظور، **لسان العـــرب**، ج١٥، ص٤٥، وج١٠، ص٣٧١ مادتيْ: عرا ووثق بتصرف.

(٤٥) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٧٣-٧٤ مادة: قنت بتصرف.

(٤٦) انظر: الطبري، **تفـــسير الطبـــري**، ج١٤، ص٢٢٦ بتصرف.

(٤٧) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٧، ص٢٦-٢٩ مادة خلص بتصرف.

(٤٨) انظر: ابن عاشور، **تفـــسير ابـــن عاشـــور**، ج٣٠، ص٤٢٣-٤٢٦ بتصرف.

(٤٩) انظر: الطبري، **تفـــسير الطبـــري**، ج٣٠، ص٣١٩ بتصرف.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com